

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية.

The Golden Rectangle In The Prayer House Of Some Tlemcen Mosques

د. محمد بن زغادي¹

جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-مخبر التراث الأثري وتثمينه.

mohamed.benzeghadi@univ-tlemcen.dz

ملخص:	معلومات المقال
تطرقنا في هذه الورقة البحثية لجانب خفي من عبقرية المعماري المسلم في تشييده للعمائر الدينية، المتعلقة على وجه الخصوص بالمستطيل الذهبي، أخذنا كمثال لتحليل هذه القاعدة الهندسية من العمارة الإسلامية بعض مساجد مدينة تلمسان العتيقة، المتمثلة في مسجد سيدي إبراهيم المصمودي المشيد من طرف الزيانيين، ومسجد أبي مدين وسيدي الحلوي المشيدان من طرف المرينيين في فترة احتلالهم لمدينة تلمسان.	تاريخ الارسال: 2022/01/24 تاريخ القبول: 2023/06/07
إن هذا الموضوع يميّز اللثام عن عبقرية معمارية أثبتت مدى تطور فن العمارة عند الأسلاف، وهي الآن تفنّد بشكل مباشر ما يدّعيه المستشرقين الغربيين حول كون العمارة الإسلامية بناء عشوائي خالٍ من أي قاعدة هندسية، حيث وجدنا من خلال الحسابات الرياضية الخاصة بعينات الدراسة (مسجد سيدي إبراهيم المصمودي وسيدي الحلوي وسيدي أبي مدين) أن البناء المسلم جسّد واحداً من مبادئ الفن المعماري الحديث المتمثل في المستطيل الذهبي الذي يحقق الراحة والخصوصية في الفضاء المعماري الخاص بهذه المساجد.	الكلمات المفتاحية: ✓ المستطيل الذهبي ✓ مسجد سيدي إبراهيم المصمودي. ✓ مسجد سيدي أبي مدين. ✓ مسجد سيدي الحلوي.
Abstract :	Article info
<i>We presented in this research paper, a hidden aspect of the genius of the Muslim architect in his construction of religious buildings, Especially related to the golden rectangle, We have taken an example to analyze this engineering base of Islamic architecture Some of the mosques of the ancient city of Tlemcen, For example, Sidi Ibrahim Al-Masmoudi Mosque constructed by the Zianians, and the two mosques of Abu Madian and Sidi Al-Halawi, constructed by the Marinids during their occupation of the city of Tlemcen.</i>	Received Accepted
<i>This topic reveals an architectural genius that demonstrated the extent of the development of architecture among the ancestors, and now it directly refutes the claims of Western Orientalists about the fact that Islamic architecture is a random building devoid of any engineering base, as we found through the mathematical calculations of the study samples (Sidi Ibrahim Mosque Al-Masmoudi, Sidi Al-Hilwi and Sidi Abi Madyan) that the Muslim builder embodied one of the principles of modern architecture .</i>	Keywords: ✓ Golden rectangle: ✓ Sidi Ibrahim El-Masmoudi Mosque ✓ Sidi Abi Madian Mosque. ✓ Sidi El-Halawy Mosque.

المؤلف المرسل : د. بن زغادي محمد

تمهيد:

تعتبر العمارة الإسلامية واحدة من أبرز البصمات الحضارية التي تركها لنا الأسلاف، وهي واحدة من التعابير المباشرة على عبقرتهم التي امتزجت فيها الإرادة الإنسانية المتطلعة إلى واقع أفضل مع عوامل طبيعية أخرى في تحصيل هذا النوع من الإنجازات، ولم تبق عمّا كانت عليه في أول الأمر بسيطةً، بل تطورت وارتقت في شكلها وتصميمها ومواد بنائها، ربما يعزى ذلك للتغير الحضاري الذي يحد من سنن الحياة، وعندما نعود إلى الفترة الوسطى التي سادت فيها مجموعة من الدول الإسلامية نجد أن هذه البصمات ارتقت إلى الحد الذي أصبحت فيه فناً تتجسد فيه ملامح الإبداع في الزخرفة والبناء والتصميم، وقد انقسمت بين ما هو ديني ومدني وعسكري، لأن المسلم تعبد فيها وآوى إليها من ظلمة الليل، واحتفى بها من اللذين أرادوا به كيداً.

يُقصد بالعمارة ذات الطابع الديني تلك المباني والمنشآت التي شُيّدت لغرض التعبد والتقرب لله عزّ وجلّ، حظيت بتقدير السلاطين، وقد كان الجامع الذي يعد أبرز أنواعها أول ما يتم تشييده عند القيام بوضع حجر أساس أي تجمع سكاني ملتف حول نواة معينة، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن اختارت الناقة بأمرٍ من ربّها مكان بناء جامع قباء في اللحظة الأولى التي حطّت فيها قدما الرسول عليه أشرف الصلاة والسلام تراب المدينة المنورة، ونهج من بعد الصحابة والخلفاء نفس المنهج، حيث ذكر هشام بن عمار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما افتتح البلدان كاتب ولآته بمصر والبصرة والكوفة أن يتخذوا مسجداً للجماعة كأول خطوة، (سعاد ماهر، 1987، ص98)، كما اعتبرت الجوامع مظهراً من مظاهر الأبهة وقوة ونفوذ الحاكم، لأن المعماري المسلم وضع فيها خالص عبقريته الفنية والمعمارية نزولاً عند أمر السلطان، وهو ما جعلها أهم الميزات العمرانية التي تحلّت بها المدن الإسلامية العتيقة.

1. ماهية المساجد:

المسجد لغة من الفعل سجد، أي خضع وأسلم وجهه لله الواحد القهار، يقال عين ساجدة أي فاترة ونخلة ساجدة، أي أمالها حملها، والمسجد بكسر الجيم اسم مكان السجود والمسجد بفتحها جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود والمسجد بكسر الميم الحجرة المسجود عليها، (محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، 2008، ص747)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، (سورة الجن، الآية 18)، ولما كان السجود أشرف الأفعال التي تؤدّى في الصلاة لقرب العبد في تلك اللحظات من خالقه أشتق اسم المكان منه، فسمي المسجد وليس المَرَكع، وهناك لفظ الجامع وهو المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة والأعياد، وعليه يمكن أن يكون كل جامع مسجد وليس كل مسجد جامع. (سعاد ماهر، 1987، ص98).

اصطلاحاً المسجد أهم وأول منشأة معمارية تُشيد في المدينة الإسلامية اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يقدمه من دور ريادي في تكوين الأفراد داخل المدينة العربية، حيث أعتد كاسلوب جديد يتوازى فيه الروحي بالمادي ويتكامل فيه المعنوي بالحسي لتحقيق ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. (سورة النور، الآيتان 36-37)

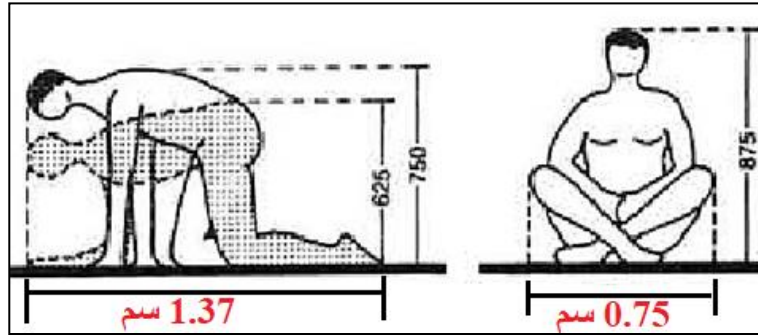
من هذا المنطلق يعد المسجد الجامع مركزاً روحياً وثقافياً وعلمياً، وكذا النواة التي يحيط بها باقي العناصر المعمارية المكونة للنسيج المعماري بالمدن العتيقة كالأسواق والحمامات والفنادق والدروب والأحياء، لكن مع توالي فترات الخلافة أخذ يفقد بعضاً من أدواره ومكانته كمركز للنسيج العمراني، إذ تراجعت أهميته مقارنة بعمارة قصر السلطان ودواوينه، فقد صار أمر تخطيطه ثانوياً يلي قصر الخلافة في الأهمية، غالباً ما كانت أبعاد القصر أكبر من أبعاد المسجد، ربما يرجع ذلك لتغير شخصية الحاكم التي أصبحت مشبعة بروح الغطرسة وميولاته المتجددة وابتعاده عن الجانب الديني، وهو ما أحدث عملية إفراغ للمسجد من روحه وجوهره الديني الذي يطبعه، وكمثال عن هذا النوع المعماري جامع القيروان بتونس، الجامع

الأموي بدمشق المؤسس من طرف الوليد بن عبد الملك نحو سنة 88هـ/707م، والجامع الكبير بمدينة تلمسان الذي وضع أساسه السلطان يوسف بن تاشفين سنة 496هـ/1102م وأبدع في زخرفته نجده علي بن يوسف سنة 530هـ/1136م (Rachid Bourouiba, 1983, p106).

كما أشرنا سابقا فقد وضع المعماري المسلم في هذا النوع من العمارة كامل خبراته وعبقريته، ما يؤكد أن الفن امتزج بالقوة والمتانة والراحة، حتى يؤدي المسلمون صلواتهم في اطمئنان وأمان من أي عامل يعكر عليهم عمل العبادة، ولكي نتبين ذلك ارتأينا الوقوف على مبدأ راحة المصلي في المساجد العتيقة، وهل تبنى المعماري المسلم ذلك المبدأ في بنائه المساجد والجوامع؟

تحدث الفن المعماري الحديث على لسان عدد من المختصين في مجال العمارة عن قواعد هندسية تحقق مبدأ الراحة في العمائر على اختلاف طابعها، انطلاقاً من الوضعيات المختلفة التي تنجم عن حركة الإنسان وجلسه، واتفقوا على أن شكل المستطيل هو الأكثر تحقيقاً لراحة الإنسان في العمارة، وقد حدّد المعماري أرنست نوfer Ernest Neufert طوله بـ: 137سم وعرضه بـ: 75سم، ينظر الشكل الآتي:

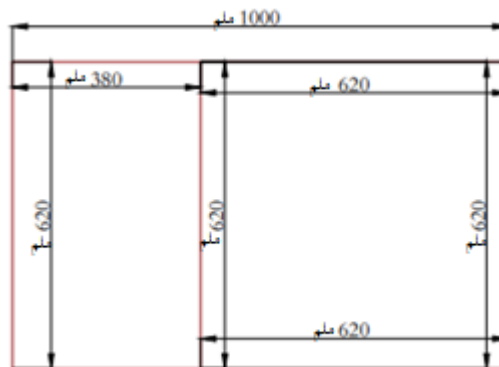
الشكل رقم 01: يوضح طول وعرض المستطيل الذهبي انطلاقاً من وضعيات الإنسان.



المصدر: (Ernest Neufert, (SD), p26)

سُمي هذا المستطيل عند البعض من المعماريين الغربيين بالمستطيل الذهبي، وعزّفوه على أنه كل مستطيل ينتج عنه مستطيل مشابه له بعد أن يجرّد من مربّع، يقام داخله وفقاً لأحد أضلاعه الصغيرة بحيث إذا قسّمنا طول المستطيل على عرضه، حصلنا على نسبة تعادل $1.61 = \frac{\sqrt{5+1}}{2}$ وهو ما يسمى بالعدد الذهبي، وأقترّ جملة الدّارسين أن النسبة الذهبية قد تكون أيضاً 0.60 أو 0.62 أو 0.61، ولكن الأكثر تداولاً هي النسبة الأولى (سيدي محمد بسنوسي الغوثي، 1990، ص141)، يمكن أخذ صورة واضحة عن المستطيل الذهبي من الشكل الآتي:

الشكل رقم 02: يبين أنموذج للمستطيل الذهبي يحقق النسبة الذهبية (1.61) بعد حذف مربع وتقسيم الطول على العرض .



المصدر: المؤلف.

2. نماذج عن براعة المعماري المسلم في المساجد:

عن أهم الأمثلة التي تجسّد وتُظهر براعة المعماري المسلم في التصميم، وتسيير الفضاء الخاص بالعمارة الدينية ما يلي:

1.2 مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:

يعتبر هذا المسجد واحداً من المنشآت التي شيّدها السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، يقع في الناحية الجنوبية الغربية لقصر المشور، تحده شمالاً تجمعات سكنية ذات طابقين وجنوباً تجمعات سكنية وشارع، أما شرقاً فيحده شارع ابن خميس يفصله عن دار الثقافة، وغرباً تحده بنايات سكنية قديمة، وشارع سيدي أبي عبد الله، لقد ذكر يحيى بن خلدون أن أبا حمو موسى الثاني بنى المجمع بما فيه المسجد، ودفن بالضريح المحاذي له والده ثم نقل إلى جواره أخويه السلطان أبي سعيد وأبي ثابت من مدفنهما بالعبّاد. (يحيى ابن خلدون، 1903، ص104).

أخذ المسجد والضريح اسم العالم الفقيه سيدي إبراهيم المصمودي لاشتهار صلاحه عند الناس وذكر الأخوين جيورج ووليام مارسيه أنه دُفن داخل أسوار المجمع ثمانين سنة بعد تأسيسه، (وليام وجيورج مارسيه، 2011، ص424)، فيما يخص نفقات هذا المسجد فقد تم وقف بعض المنشآت لصالحه استناداً إلى نص وقفي منقوش في بلاطين رخاميتين موجودتين بمتحف تلمسان، تحمل كل واحدة كتابة في خمسة عشرة سطراً ارتفاعها يبلغ نصف متر، أما عرضها فيبلغ 43 سم، واحدة من هاتين البلاطين مكسورة في اتجاه العرض وهي تنمة لمثلثتها، مما أتلّف اثنا عشرة سطراً منها، إلا أن العبارات المتبقية والمتعلقة بقرار ملكي يقضي وقف بعض الأملاك على المجمع الديني مفهومة، وهذا نصها الأصلي منقول حرفياً كما ورد مكتوباً في البلاطات: (سيدي محمد بسنوسي الغوثي، 1990، ص274).

أ-البلاطة الأولى: "أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبي حمو ابن مولانا الأمير أبي يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير بن زكرياء ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن ابن زيان وسل الله مفاخرة وحلّد آثاره الكريمة ومآثره على هذه الزاوية المباركة المقامة على ضريح والد المذكور برد الله ضريحه فمن ذلك ما بداخله تلمسن المحروسة جميع الطاحونة الملاصقة للزاوية ولثلاثون حانوتا المعروفة بالصناعة القديمة والكوشة التي بمنشر الجلد وحمام الطبول وفرن مقسم الما وفندق العاليا وبخارج البلاد المذكور جميع الرحا السفلى بقلعة بني معلّى والنصف شايعة في روس المنية الكائنة بالرميل وزيتون تيفدا وأرض الزيتون المذكور ثم معصرته وجميع الحبس..."

ب-البلاطة الثانية: "ملكه وشهره الجميع تغني على التحديد تحببسا تاما مطلقا عاما ووفقا ثابتا أبديا ليصرف ما يستفاد من الحبس المذكور على معلمين العلم وطالبه وإمام ومؤذن... عام ثلاثة وستين وسبع... مائة... عام... خمسة وستين وسبع مائة..."، كما تحدث شارل بروسار عن النص معتبراً إيّاه وثيقة تثبت نصاً تحببسيا حصّصه السلطان أبوحمو موسى الثاني الذي حكم البلاد ما بين سنة 760هـ/1360م و791هـ/1391م لفائدة المجمع الديني ككل. (Charle Brosselard, 1860, p72)

بالنسبة للوصف المعماري الداخلي لمسجد سيدي إبراهيم المصمودي محلّ اهتمامنا من الموضوع فقد جاء بيت صلاته مستطيل الشكل بمساحة قدرها 292.60م²، حيث يغلب عرضه المقدّر بـ19م على عمق المقدّر بـ15.40م، بما خمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة.

تقوم ببيت الصلاة دعائم على شكل حرف T بيت الصلاة حدّدت مسار وعدد كل من البلاطات والأساكيب، تستند فوقها عقود حدوية خالية من أي زخرفة، بالنسبة لسقفه فقد رُئِم مؤخراً بما في ذلك المسجد ككل أعيد تشكيكه وفقاً لما كان عليه، لكن أضيف في عدد السقوف الجمولية مقارنة بما كان به قبل تضرره، فقد كان به سقف خشبي جملوني من الخارج يتقدم المحراب موازي لجدار القبلة طوله 7م وعرضه 3.50م، نفس الشيء بالنسبة للبلاطة الوسطى والجانبيتين، إذ جاء سقفهم جملوني بطول قدره 7م وعرض قدره 3.10م، حسب رشيد بورويبة هذا النوع من التسقيف لم يكن معمولاً به عند المرابطين، ولا عند الموحدّين وأنه كان من ميزات العمارة التركية. (Rachid

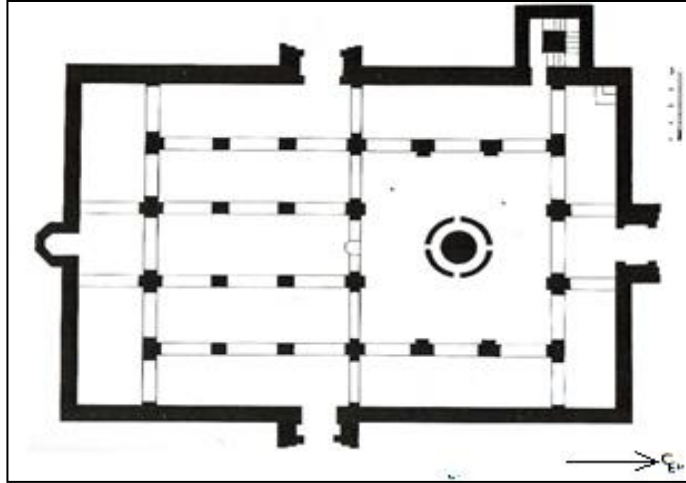
Bourouiba, 1983, p185)

الصورة رقم 01: تبين منظر لجزء من مسجد سيدي إبراهيم المصمودي.



المصدر: المؤلف.

المخطط رقم 01: يبين مخطط مسجد سيدي إبراهيم المصمودي.



المصدر: (Rachid Bourouiba, 1983, p71)

من الجانب المعماري نجد أن البناء المسلم جسّد في بيت صلاة مسجد سيدي إبراهيم المصمودي المستطيل الذهبي وتجدر الإشارة أنّ عدد الصفوف يتحدد وفقاً لطول المستطيل الذهبي المقدّر بـ 1.37م، فإذا كان ناجم قسمة طول بيت الصلاة عليه هو نفس العدد الخاص بالصفوف، فتلك دلالة على أنّ المعماري المسلم راع في بناء هذا المسجد ما يعتمد عليه الفن المعماري الحديث، ونفس الأمر بالنسبة لعرض المستطيل الذهبي المقدّر بـ 0.75م، فإذا كان ناجم قسمة عرض بيت الصلاة عليه هو نفس عدد المصلين الموجودين في الصف الواحد من اليمين إلى اليسار، باعتبار أن لكل مصليّ ذلك المقدار من المسافة، فتلك دلالة واضحة على وجود المستطيل الذهبي الذي يحقق الراحة في الجلوس والركوع والسجود أثناء تأدية وقد أقرّ الأستاذ بسنوسي سيدي محمد الغوثي (رحمة الله عليه) أنه بعد تقسيم عمق بيت صلاة المسجد المقدّر 15.40م على 1.37م (طول المستطيل الذهبي) الناتج هو 11 صفّاً وتبقى مسافة 24 سم، إذا ما قسّمت على 11 صفّاً فسيكون لكل منها 2 سم، وهي نسبة قليلة جداً، ونفس الأمر عند تقسيم عرض بيت الصلاة المقدّر بـ 19م على 0.75م الحاصل هو 25 مصلياً، وتبقى مسافة 33 سم، إذا

مأ وُزعت على عدد المصلين في الصف الواحد ستكون هناك مسافة فاصلة بين كل واحد منهم تقدر 1.32م. (سيدي محمد بسنوسي الغوثي، 1990، ص 275).

تبيّن من خلال معاينتنا الميدانية التي قادتنا للمسجد أن بيت صلاته فعلاً يتضمن 11 صفّاً، و25 مصلٍ في الصف الواحد، ما يؤكد أن المعماري المسلم بنى بيت الصلاة وفقاً لقاعدة هندسية تحقق مبدأ الراحة في الصلاة، يُصطلح على تسميته بالمستطيل الذهبي.

2.2 مسجد سيدي الحلوي:

لم ينفرد مسجد سيدي إبراهيم المصمودي بالمستطيل الذهبي، فمسجد سيدي الحلوي هو الآخر أحد أهم العماير الدينية التي برع في تشييدها المعماري المسلم إبّان الفترة التي سقطت فيها تلمسان بيد المرينيين أنشئ على يد السلطان المريني أبي عنان فارس ابن أبي الحسن المريني إلى جانب الزاوية التي اندثرت معالمها كلياً، أخذ هذا المسجد اسم الفقيه أبو عبد الله الشودي الملقب بسيدي الحلوي، ذلك ما تؤكده الكتابة التأسيسية المنقوشة بالخط الأندلسي التي نقلها بروسار، وقد جاء فيها مايلي: "الحمد لله وحده أمر بتشيد هذا الجامع المبارك، مولانا السلطان أبو عنان فارس ابن مولانا أبي الحسن علي ابن مولانا السلطان أبي عثمان ابن مولانا أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق أيده الله ونصره عام أربع وخمسين وسبع مائة الموافق لسنة 1353م، بعد أن غادر سيدي الحلوي إشبيلية التي كان بها قاضياً إلى تلمسان عام 1266م تبرع بكل ثروته للفقراء ليصبح بائعاً للحلوى، ونتيجة لأدبه وعلمه الذي اتصف به التفت الناس حوله وأكثوا له الحب والتقدير، الأمر الذي حرّك نفسية حسّاده الذين دبوا له مكيدة ودسيسة لدى السلطان حيث اتهموه بالزندقة، وهو ما أدّى إلى تنفيذ حكم الإعدام في حقه بقطع رأسه، ليتبين فيما بعد أنه قُتل ظلماً، حينها أعاد السلطان المريني الاعتبار لهذا الفقيه، وبنى له ضريحاً وأعدم مدير المكيدة.

يوجد مسجد سيدي الحلوي على مرتفع شديد الانحدار، تلتف حوله عدد من المساكن، يبلغ طوله 27.50م، أمّا عرضه فيقدّر بـ 17.40م، يتم الولوج إلى داخله عبر مدخل ضخم به ستة درجات يفضي إلى باب ضخم يعلوه قوس على شكل حدوة الفرس، فيما يخص بيت الصلاة فله بابين جانبيين، يبلغ طوله 17.5م، أما عرضه فيبلغ 13.68م، ينقسم إلى خمسة أروقة عمودية على جدار القبلة عرض كل واحد منهما ثلاثة أمتار باستثناء الرواق الأوسط الذي يبلغ 3.35م، وأربعة بلاطات موازية لجدار القبلة، أعمدة المسجد من الرخام، يبلغ ارتفاعها 2م، وأقواسه حدوية الشكل، أما محرابه فيبلغ ارتفاعه 1.90م وقطر فتحته 1.56م، تعلوه قبة مزينة بالمقرنصات، عقده على شكل حدوة الفرس، يستند على عمودين من الرخام، لكل منهما تاج به كتابتين، على التاج الأيمن جاء فيها مايلي: "جامع ضريح الشيخ الولي الرضى الحلوي رحمه الله عليه"، أما التاج الأيسر فجاء فيها مايلي: "أمر ببناء هذا الجامع المبارك عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المؤمنين". (Charle

Brosselard, 1860, p322)

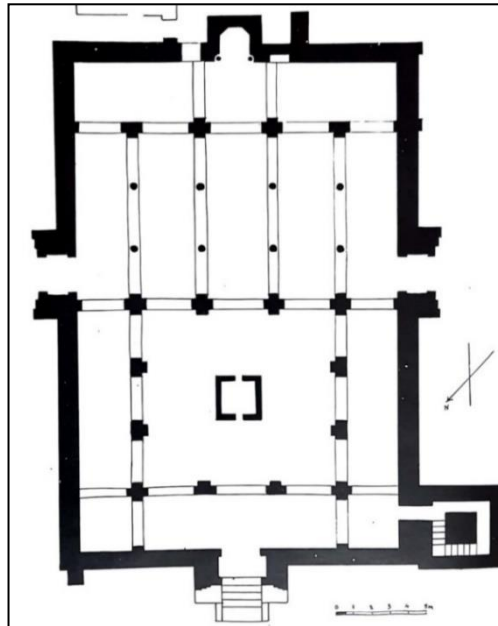
أما الصحن فجاء شكله مربع يبلغ طول ضلعه 10.50م، يكتنفه يميناً ويساراً مجنّبات امتداد للرواق الشمالي والجنوبي لقاعة الصلاة، وبالنسبة لمئذنة المسجد توجد بالزاوية الشمالية الغربية بارتفاع يقدر بـ 25م، عدد درجاتها 88 درجة، زخرفتها عبارة عن شبكة من المعينات المستندة على مجموعة من العقود يأتي أسفلها كوة عبارة عن إطار بها قوس مفصّص، تنتهي المئذنة بجوسق به زليج، وتحيط به شُرّافات.

الصورة رقم 02: تبين منظر عام لمسجد سيدي الحلوي بمدينة تلمسان.



المصدر: المؤلف.

المخطط رقم 02: يبين مخطط مسجد سيدي الحلوي.



المصدر: (Rachid Bourouiba, 1983, p71)

لقد وجدنا أنَّ المعماري المسلم في فترة الاحتلال المريني لمدينة تلمسان أتقن فن البناء، حيث وضع في حسبانته القواعد الهندسية التي تحقق مبدأ الراحة في تأدية الصلاة، فضلاً عن المتانة واللّمسات المعمارية الفنية التي تحقق تزاوج الجمال بالقوّة، ولاحظنا في زيارتنا الميدانية أنَّ عدد الصفوف بلغ 12 صفّاً، أمّا عدد المصلين في كل صف هو 18 مصلٍ، وهو ما وجدناه بعد تقسيم طول بيت الصلاة البالغ 17.50م على 1.37م (طول المستطيل الذهبي)، حيث كان الناتج 12، وتبنّت مسافة 77سم، يستفيد منها المصلي للمشّي إلى الصلاة، وفيما يخص عدد المصلين، فقد

وجدناه ماثلاً لناتج تقسيم عرض بيت صلاة مسجد سيدي الحلوي المقدّر بـ 13.68م على 0.75م (عرض المستطيل الذهبي)، وتبقى مسافة قدرها 24 سم إذا ما وزّعناها على عدد المصلين فسيكون لكل منهم 1.33م لتحقيق أكبر قدرٍ من راحة العبد أثناء التقرب من ربّه، الأمر الذي يبرز أن ما توصّل إليه الفن المعماري الحديث، قد تفتّن له المعماري المسلم قديماً ولم ينجز مبانيه الدينية خبط عشواء من دون الإلمام بقواعد الهندسة والتصميم.

إن توافق تقسيم أبعاد بيت صلاة المسجد على أبعاد المستطيل الذهبي يؤكد من دون شك وجود هذا الأخير في عمارة هذا المسجد، فلو كان الناتج الذي وجدناه ميدانياً مخالفاً لاستنتجنا نقيض ذلك.

3.2 مسجد سيدي أبي مدين:

بُيّت هذه التحفة المعمارية من طرف السلطان المريني أبي الحسن، بعد استيلائه على مدينة تلمسان في حدود عام 739هـ/1339م في العباد العلوي (محمد ابن مرزوق التلمساني، 1981، ص 403)، ذلك ما تدل عليه كتابة نُقشت فوق باب المسجد بخط أندلسي جاء فيها: "الحمد لله وحده، أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا أبي سعيد عثمان بن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره، عام تسعة وثلاثين وسبعمائة نفعهم الله بها"، وهناك كتابة أخرى موجودة على زخرفة هندسية آجرية، تتوجها ظلة من القرميد تحمل كتابة جاء فيها ما يلي: "هذا ما أمر به مولانا أبي الحسن عبد الله علي"، هذه الكتابة موجودة كذلك بالناتج الأيمن للمحراب، وفي الناتج الأيسر توجد كتابة أخرى جاء فيها: "ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثواب الجسيم كتب الله له به أنفع الحسنات وأرفع الدرجات"، حمل هذا المسجد اسم الولي الصالح سيدي أبي مدين ذي الأصل الأندلسي من مدينة إشبيلية، يعدّ من كبار الصوفية السنيين، بعد رجوعه من المشرق الذي شارك فيه مع الحجاج المغاربة في معركة حطين إلى جانب صلاح الدين، هنا تجدر الإشارة أن هذا الأخير خصّص لهم حياً بالقدس الشريف صار فيما بعد يسمى باسمهم أي حي المغاربة، استقر أبو مدين ببجاية وانصرف للتعليم، ذاع صيته هناك إلى الحد الذي راجت حوله فكرة خاطئة دُبرت من طرف بعض الحاسدين له، ذلك ما أقلق المنصور الموحي الذي بعث برسالة إلى حاكم بجاية يأمره بإرسال سيدي أبي مدين إليه، لما انطلقت به القافلة وصولاً إلى حدود مدينة تلمسان، ولمّا تراءى له جمال جبل العباد قال الولي الصالح: "ما أجمل ذلك المكان للاستراحة والنوم"، لم يلبث بعدها حتى اشتد عليه المرض ومات ليُدفن بالعباد عام 594هـ/1196م. (Abbé Bargés jj, 1859, p 277)

من الناحية المعمارية جاء شكل هذا المسجد مستطيل بطول يبلغ 30م، وعرض يبلغ 18م مدخله رائع الصنع علوه يبلغ 7م له مصعد من إحدى عشرة درجة، يعلو هذا المدخل ظلة مصنوعة من القرميد المحمول فوق أكتاف خشبية، كما يتوج هذا المدخل قبة مزخرفة بمقرنصات، بالنسبة لبيت الصلاة تتضمن خمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة، وأربعة أساكيب موازية لجدار القبلة، فيما يخص الأروقة يبلغ عرضها 3.10م باستثناء الرواق الرئيسي الذي يبلغ عرضه 3.50م.

أما بيت الصلاة فيقدر طوله بـ 19م وعرضه بـ 15م، يتم الولوج إليه عبر بابين جانبيين، وبالنسبة للمحراب فهو يقع بالزاوية الجنوبية الشرقية تحويفه الداخلي ثماني الأضلاع تيجانه جيدة الصنع ورائعة الزخرفة قبة مخزّمة ومزينة بالخزف ذي اللون الأزرق والأخضر والبني القاتم عقده، حدوي وهي لا تظهر للعيان من الخارج، أما من الداخل فيبدو أنها تعرضت للترميم والإصلاح في الفترة العثمانية، تنتصب المئذنة المبنية من مادة الآجر بالزاوية الشمالية الشرقية شكلها الخارجي رباعي كباقي مآذن مدينة تلمسان يبلغ ارتفاعها 27.50م، نسبها منسجمة ومتناغمة قوام زخارفها حشوات بها إطارات وشبكات من المعينات، عقودها مزينة بزخارف نباتية، يحتوي سلّمها الذي يؤدي إلى الجوسق على 96 درجة تلتف حول النواة الرئيسية، وفيما يتعلق بالصحن جاء شكله مستطيل تتوسطه مِيضَاءة تحيط بجهاته الشرقية والغربية أروقة تشكّل امتداداً لبيت الصلاة. (عبد العزيز محمود

لعرج، 1999، ص 612)

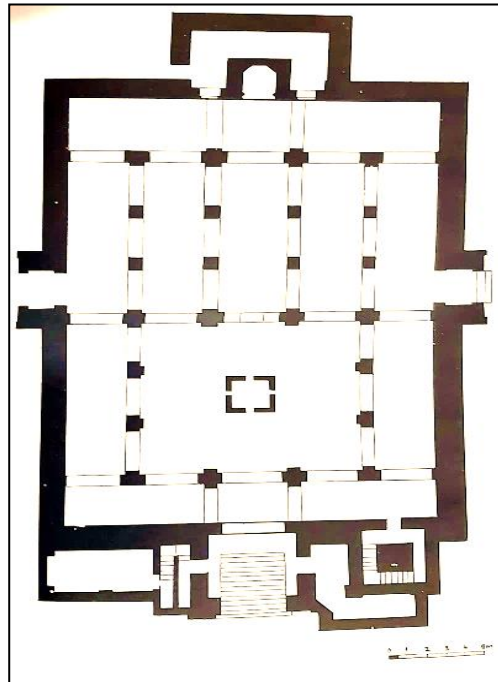
نفس الأمر تكرر في هذا المسجد، فقد التزم في تشييده المعماري المسلم بقواعد مضبوطة في الهندسة حيث وجدنا ناتج تقسيم طول بيت صلاته على طول المستطيل الذهبي هو العدد الخاص بالصفوف، أي 13 صفًا، وتبقى مسافة قدرها 86 سم لمرور المصلين، ونفس الأمر بالنسبة لعدد المصلين الذي وجدناه عقب معاينتنا الميدانية مماثلاً لناتج تقسيم عرض بيت الصلاة على عرض المستطيل الذهبي، وقد تمثل في 11 مصلياً في الصف الواحد، الأمر الذي يبرز أن المصلي كان يؤدي واجب العبادة في راحة تامة، لأن مقاسات هذا المستطيل الذي تبناه الفن المعماري الحديث ارتكزت على مقاسات إنسان بالغ.

الصورة رقم 03: تبين منظر عام لمسجد سيدي أبي مدين بمدينة تلمسان.



المصدر: المؤلف.

المخطط رقم 03: يبين مخطط مسجد سيدي أبي مدين.



المصدر: المؤلف.

الخاتمة:

بعد تطرقنا لموضوع المستطيل الذهبي في العمارة الإسلامية الدينية على وجه الخصوص، تبين لنا أن المعماري المسلم كان على دراية كبيرة بالمفاهيم الهندسية التي توصل الفن المعماري الحديث، وذلك يدل دلالة واضحة أن المستوى الفكري كان متقدماً في تلك الفترة الزمنية، وهو الأمر الذي نلمسه أيضاً في تخطيط المدن الإسلامية عامة، حيث تم اختيار مواضعها بعناية كبيرة، وترتيب استعمال فضائها العمراني بطريقة تكفل السير الحسن في المجال الديني والدنيوي.

لاحظنا من خلال الورقة البحثية أن كلاً من الزبانيين والمرنبيين اهتموا بتحصيل قاعدة المستطيل الذهبي على أرض الواقع، وهذا الأمر الذي جعلنا نؤكد أن هذا العمل الهندسي كان عاماً وشاملاً عند جميع الدول الإسلامية. لقد أضفنا فضلاً عن الصور المخططات لأن الموضوع ذو طابع هندسي محض، وعليه ستظهر تفاصيل المساجد بوضوح، فضلاً عن ذلك المساجد التي قدمناها هي الأكثر احتفاظاً بتصميمها المعماري الأصيل، وعليه ستوفر لنا صورة حقيقية عن مدى تطابق قاعدة المستطيل الذهبي التي تكلمت عنه كتب الهندسة في العصر الحديث مع بصمات الأسلاف.

القرآن الكريم.

• قائمة المصادر:

- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، 2008، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر محمد، دار الحديث، القاهرة.
- ابن مرزوق التلمساني محمد، 1981، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن دراسة وتحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعيداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
- ابن خلدون يحيى، 1903، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مج 01، مطبعة بيبير بونطانا الشرقية، الجزائر .

• قائمة المراجع:

• المؤلفات:

أ- باللغة العربية:

- ماهر سعاد، 1987، مساجد السيرة النبوية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
- مارسيه جورج ووليام، 2011، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة مراد بلعيد، علي محمد بورويبة، فلة عبد مزيا، الأصاله للنشر والتوزيع، الجزائر.

• الأطروحات

-الغوثي سيدي محمد بسنوسي، 1990، سيدي محمد الزخرفة في مساجد منطقة تلمسان، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية جامعة تلمسان، الجزائر.

-لعرج عبد العزيز محمود، 1999، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية منشورة، ج2، معهد الآثار، جامعة الجزائر.

ب-باللغة الأجنبية:

• المؤلفات:

- Bargés,Abbé jj 1859,Tlemcen Ancienne Capital du Royaume de Ce Nom, Imprimerie Oriental du Manus Nicolas, France.

-Brosselard,Charle 1860,Les Inscriptions Arabes de Tlemcen ,In (R) Africaine,4^{em}année,N°19,Arnolet imprimeur libraire , Constantine , Algérie.